

الفاعلون وحتمية إنتاج الخطاب التربوي في المدرسة الجزائرية

د عمر حمداوي

د مليكة جابر

ملخص: أصبحت موجّهات الفعل الاجتماعي (الدين، الأعراف، التقاليد، المصالح الشخصية) أصبحت تتحكم حتميا في المدرسة الجزائرية بشكل كبير، رغم كل الإصلاحات والشعارات التي يحملها الخطاب التربوي في مجالات العمل التعليمي والتربوي. من أجل ذلك، تهدف هذه الورقة البحثية إلى الكشف عن ما إذا كان الفاعلون بالمدرسة الجزائرية يستطيعون إنتاج الخطاب التربوي الذي يتجاوز هذه الحتمية ويعبر عن تحقيق الذات المتأصلة في المجتمع الجزائري.

في الواقع هذا الخطاب يجد صعوبة ومعوقات مختلفة ويلقى مقاومة من الآخرين وه ذا ما أدى إلى تشكل عملية الصراع من أجل البحث عن إرساء آليات الاعتراف المتبادل بين هؤلاء والمجتمع. ومن هذا المنطلق جاءت هذه الورقة البحثية لتطرح مقارنة نقدية لواقع المدرسة الجزائرية المعيش كفضاء عام تحدث فيه كل أشكال التفاعلات الاجتماعية انطلاقا من طريقة فهم الخطاب التربوي، وفق إشكالية تتمحور حول التساؤل الرئيس التالي:

هل ينتج الفاعلون بالمدرسة الجزائرية خطابا تربويا يعزز دائرة الاعتراف وتقدير الذات؟

الكلمات المفتاحية: الفاعلون، الخطاب التربوي، المدرسة الجزائرية.

Les acteurs et la production inévitable de discours éducatifs à l'école algérienne

Résumé:

Les directives d'action sociale (religion, coutumes, traditions, intérêts personnels) contrôlent inévitablement l'école algérienne, malgré toutes les réformes et les slogans portés par le discours éducatif dans les domaines du travail éducatif. À ce but, cet article cherche à révéler si les acteurs de l'école algérienne peuvent produire un discours éducatif allant au-delà de cette fatalité et exprimant la réalisation intrinsèque de la société algérienne.

En fait, ce discours trouve des difficultés et des obstacles divers et résiste par d'autres, ce qui a conduit à la formation de la lutte pour la recherche de la mise en place de mécanismes de reconnaissance mutuelle entre les acteurs et la société.

Dans cette perspective, cet article a présenté une approche critique de la réalité de la vie scolaire algérienne en tant qu'espace public dans lequel toutes les formes d'interactions sociales interviennent dans la compréhension du discours éducatif. La problématique de cet article s'articule donc autour de la question clé suivante :

Les acteurs scolaires algériens produisent-ils un discours éducatif qui favorise la reconnaissance et l'estime de soi?

Mots-clés: Acteurs, discours éducatif, école algérienne .

مقدمة:

تقوم المدرسة، من المنظور السوسيولوجي بإفراز الفعل الاجتماعي الذي يعتمد على أسلوب التنشئة الاجتماعية من أجل نقل الفعل التربوي إلى التلاميذ ومختلف الفاعلين داخل المدرسة، ولهذا فالمدرسة تلعب دورا هاما هو مسايرة العصر وذلك بإخراج المجتمع من التقليدي إلى العصري، بتجربة العديد من الإصلاحات التربوية التي لاقت صعوبات جمة، فظهرت مقاومة على جميع الأصعدة وعدم الاستعداد لتطبيق هذه الإصلاحات بحذافيرها، فحدث بذلك تفتت داخل المجتمع أي أصبحت هذه الإصلاحات بحاجة إلى بناء مجتمع جديد و الحصول على مجتمع متكامل بواسطة التعليم باعتباره وسيلة أساسية وعامل أساسي للتأطير والهيمنة على الثقافات التقليدية فيما هو اقتصادي و سياسي و ثقافي تربوي.

كما نجد المدرسة الجزائرية بعيدة كل البعد عن الواقع المعيش لحياة الفاعلين فأصبحت المدرسة مجالا خصبا لتجارب الآخرين، وهذا ما تعكسه صعوبة انتهاج طرق التدريس هذه المضامين الجديدة بشكل يتواءم وظروف المجتمع عند الأساتذة و المعلمين الجدد خصوصا في القرى ، وجعل المدرسة مجالا يحث على اقتناء الكتب الكثيرة بالزامية رغم كثافة أغليبيتها، حتى أصبح التلاميذ يحملون أكثر من وزنهم على ظهورهم بدلا من حملها في عقولهم، ومن الملاحظ أن الفاعل ين ومنتج الخطاب التربوي أصبحوا يهتمون بتحسين مستواهم المعيشي بدل الاهتمام بتحسين محتوى الخطاب، هذا التناقض الحاصل في المدرسة الجزائرية جعلها تعيش في دوامة من الصراع الصوري الذي يساهم في تهديم بناء الذات والاعتراف بهم ، فيسوق للمجتمع فكرة الدونية لمهام الفاعلين في المدرسة.

أولاً: الهدف من البحث: هذه الورقة البحثية جاءت من خلال استقراء واقع بعض المدارس الجزائرية في كل المستويات (ابتدائي، متوسط، ثانوي) حيث أن هناك بعض الآراء التي تميل إلى تمثيل صورة المدرسة بالتهميش والاحتقار واللامبالاة والضعف نظراً لعدة أسباب مختلفة السوسيوثقافية منها والاقتصادية، مما لفت انتباهنا إلى إسقاط فكرة الصراع* لأهم رواد مدرسة فرانكفورت (المدير الحالي لها) أكسيل هونيث¹⁵.

* احتل كتاب الصراع من أجل الاعتراف للفيلسوف وعالم الاجتماع الألماني أكسل هونيث (1949) منزلة أساسية في سياق الفكر الفلسفي السياسي الإيتيقي المعاصر والذي هو في الأصل رسالة أعدها صاحبها لنيل درجة التأهيل العلمي بجامعة فرانكفورت تحت إشراف هابرماس، فمنذ صدوره بلغة صاحبه الأصلية (الألمانية) سنة 1992 والجدل حوله قائم وازدادت دائرته اتساعاً مع صدور الترجمات الإنجليزية (1995) ثم الفرنسية (2000) اللتان امتازتا بترجمة دقيقة وثرية لمحتوياته. لأن عصرنا الراهن هو عصر الصراع والنقد من أجل البحث عن فضاء للعيش المشترك بعيداً عن التوترات والنزاعات فإن ذلك ما زاد من راهنية هذا الكتاب الذي يعد بنظر الباحثين في الشأن الفلسفي من أهم الكتب التي صدرت لتأسيس نظرية الاعتراف.

وهو يمثل الجيل الثالث منها، ويبرزها في أهم كتاباته مثل مجتمع الاحتقار وكتابه الصراع من أجل الاعتراف*، ولذلك نتساءل إن كانت الآراء السابقة تدفع بالفاعلين داخل المدرسة إلى فكرة الصراع واثبات الذات من أجل اعتراف الآخرين بهم وبالتالي تمرير الخطاب التربوي بكل سلاسة وسهولة أم عكس ذلك؟

ثانياً: إشكالية المداخلية: إن قراءة واقع التعليم في الوطن العربي وفي الجزائر على الخصوص تقتضى تحليل المفردات التربوية التي تتشكل منها جزئيات هذا الواقع، فالفاعلون الذين يصنعونه هم المسؤولون عن تسويق صورة ذا الواقع، مما يجعلهم في صراع مع أنفسهم ومع الآخرين والاعتراف بذواتهم الفاعلة من أجل كسب ثقة المجتمع الذي يتواجدون فيه والاعتراف بهم من جهة أخرى، لكن ونظراً لتدخل عدة عوامل اجتماعية، أصبحت مضامين الإصلاح التربوي وخطاباته غير واضحة للمجتمع، وهو ما جعل الخطاب المنتج من طرف الفاعلين التربويين لا يعكس الذات المتأصلة في المجتمع الجزائري، نظراً لا بتعاد المدرسة عن المجتمع، وتقلص دورها كمؤسسة فاعلة فيه تهدف إلى تفعيل الجانب الديناميكي للمجتمع، والعمل على الوصول إلى المهمشين للارتقاء بهم وتمكينهم من الثقة بأنفسهم لتحقيق نوع من تكافؤ الفرص بغية إحداث نقل الفعل التعليمي من فعل ينشئ النخب إلى فعل يؤنس المجتمع ويجعله يعترف بأفراده.

فأصبح هذا الخطاب يجد صعوبة ومعوقات مختلفة ويلقى مقاومة المجتمع لأنه لا يعكس واقعه ومقوماته من جهة ولا يوضح حتى ملمح الجيل الذي يراد إنتاجه من خلال هذه المضامين التربوية من جهة أخرى، ولذلك جاءت هذه الورقة البحثية الورقة البحثية لتطرح مقارنة نقدية لواقع المدرسة الجزائرية المعيش كفضاء عام تحدث فيه كل أشكال التفاعلات الاجتماعية انطلاقاً من طريقة فهم الخطاب التربوي، من قبل المجتمع، وعليه تبحث هذه الورقة البحثية عن إجابة للتساؤل الرئيس التالي:

إن المقصود بالصراع من أجل الاعتراف هو تجاوز التصور الكلاسيكي السابق القائم على الصراع من أجل ضمان البقاء الذي ساد خاصة مع تصور كل من مكياقي وهوبز. فالاعتراف في نظر هونيت يعني مقارنة نقدية للواقع الراهن للمجتمعات المعاصرة من جهة وبديلاً لنظرية التواصل التي صاغها أستاذ هابرماس. فخطاب الصراع من أجل الاعتراف هو خطاب يحمل في ثناياه عدة مطالب إنسانية كافلة لحقوق الإنسان في مختلف سياقات الحياة داخل الفضاء العمومي.

هل ينتج الفاعلون بالمدارس الجزائرية خطاباً تربوياً يعزز دائرة الاعتراف وتقدير الذات؟

ثالثاً: مبررات البحث: هناك عدة مبررات أمبيريقية تجعل من هذه الورقة البحثية تطرح نفسها نذكر منها:

- صعوبة مسايرة الخطاب التربوي والنظم التعليمية للمشكلات المطروحة التي يعاني منها الواقع الجزائري.
- مما يجعل قراءة الواقع الاجتماعي والحضاري للمجتمع وصياغة خطاب فكري نوعي يسهم في تغيير هذا الواقع لا يتناسب والرؤى العلمية المطروحة.
- كما أن إعداد نظام تربوي يساهم في تأسيس ثقافة ديمقراطية اجتماعية تعمل على تكريس مبادئ التكافؤ الشامل للفرص التعليمية والاجتماعية، وتكريس مبدأ العدالة التعليمية تتحكم فيه عدة معوقات معقدة التركيب، خاصة السوسيوثقافية منها .
- ضف إلى ذلك، انفصال مضامين التربية وغاياتها وتوجهات التعليم وكيفية عن الأوضاع الثقافية والاجتماعية، و تحكم هذه التوجهات في الخطاب التربوي وعمل المؤسسات التربوية.

- عدم التركيز على المعرفة التقنية وتأهيل الكوادر البشرية، وذلك بمبرر الهيمنة التكنولوجية على الثقافة المعولمة، و إهمال قضايا الإنسان والمجتمع والدين.
- واقع المدرسة الذي تقدم المعارف فيه بشكل منفصل ومتباعد، عن تجربة الناس وعن واقع الثقافة المجتمعية، لا يساهم في بناء الثقافة التربوية للفاعلين ذوي الشخصية الفاعلة، المنسجمة وعباً وسلوكاً وتصوراً مع مهمتهم لمواجهة تحديات الواقع والمستقبل.
- انفصال مخرجات النظام التعليمي عن واقع احتياجات المجتمع، مما أدى إلى الإبقاء على حالة التخلف الاقتصادي والثقافي والفني من جهة، وزيادة في التسرب والاختفاق المدرسي، وكثرة الشباب البطال، والهجرة غير الشرعية إلى خارج البلاد.
- استنادا لهذه المبررات يمكن أن نتصور أهم المراحل التي يمر بها الخطاب التربوي نذكر منها:
- المرحلة الأولى: هي عملية تحدث قبل إنتاج الخطاب التربوي تتعلق بمدى اعتراف الآخرين بنا.
- المرحلة الثانية: تتعلق بمحتوى الخطاب، هل يشمل الأغلبية من مستهلكي هذا الخطاب.
- المرحلة الثالثة: كتابة الخطاب بمفردات مفهومة تؤثر على استيعاب الآخرين وتجذب فهمهم.
- المرحلة الرابعة: ملاحظة رجوع الصدى: هل هناك من مستجيب.

رابعا: المفاهيم الأساسية:

- 1 - مفهوم المدرسة: كلما تطور المجتمع إلا و ازداد تعقيدا و كلما ازداد تعقيدا إلا و أنشأ مؤسسات جديدة هو بحاجة ماسة إليها ، و تعتبر المدرسة التربوية هي إحدى المؤسسات التي أنشأها المجتمع في وقت ليس ببعيد و التي أخذت من التحليل السوسولوجي ما يكفي لتصبح مدرسة تربوية بكل المقاييس¹⁵.

فلمدرسة ليست مجرد مكان يجتمع فيه الأطفال أو الناشئة من أجل اكتساب المعرفة بل هي تكوين معقد وبالغ التعقيد من صور رمزية ذات طابع اجتماعي وهي مصدر يستلهم منه الفرد طاقته للإبداع في أي مجال من النشاطات الاجتماعية.

ويختلف مفهوم المدرسة باختلاف المنظرين والاتجاهات النظرية في مجال علم الاجتماع ، وتنوع مناهج البحث المتبعة في دارسته، فالمدرسة ظاهرة اجتماعية مكثفة بمكوناتها ووظائفها، وهي تحتاج إلى منهج علمي واضح من أجل دراستها وتحليل عناصرها ومكوناتها يستند إلى منظومة

علمية متكاملة من المفاهيم السوسولوجية الرصينة بعيدا عن أوهام التصورات العامة للسوسولوجيا الساذجة التي يستند إليها غالبا في فهم المدرسة وتحليله¹⁵. ينظر علماء الاجتماع إلى المدرسة بوصفها مؤسسة اجتماعية معقدة مستجمعة في ذاتها لمنظومة من العلاقات المتبادلة بين مختلف جوانبها، وأنه لا يمكن إحداث التغيير في أحد أجزائها دون التأثير في بنيتها الكلية. وفي نسق هذا التوجه ينظر إلى المدرسة بوصفها مؤسسة تهدف إلى تحقيق التواصل بين تجربة التعليم المدرسية والتجارب الاجتماعية التي تجري في المجتمع¹⁵.

إن المفكرين في علم اجتماع التربية ينطلقون في تعريفهم للمدرسة من أسس منهجية ونظرية مختلفة، حيث يؤكد بعض المفكرين في تعريفهم للمدرسة على أهمية الدور الذي يجب أن تؤديه المدرسة في حياة الناس. وهم يركزون في هذا التوجه على ما يجب أن تكون عليه المدرسة، وليس على واقع المدرسة كما هو كائن. وينصوي في دائرة هذا التوجه التعريف النموذجي الذي يقدمه جون هولت Holt John فالمدرسة في نظره، يجب أن تكون المكان الذي يجد فيه الناس ما يرغبون فيه والمكان الذي يساعدهم في تطوير القدرات والاستعدادات التي يرغبون بتطويرها¹⁵.

كما يعرفها إميل دوركايم بأنها عبارة عن تعبير امتيازي للمجتمع الذي يوليها أن تنتقل للأطفال قيما ثقافية وأخلاقية واجتماعية يعتبرها ضرورية لتشكيل الراشد وإدماجه في بيئته ووسطه¹⁵. ويمكن الاستخلاص أن المدرسة هي أحد الفضاءات الاجتماعية التي يتم فيها التفاعل بين عدة فاعلين (تلاميذ، معلمين، وإداريين) يتواصلون فيما بينهم لتحقيق وظائفها المتمثلة في نقل المعارف من جهة، وتشكيل الفرد الاجتماعي من جهة أخرى، الذي يمكنه من استيعاب مقومات مجتمعه وخصائصه.

2- المفهوم السوسولوجي للمدرسة:

تشكل المدرسة نظاما معقدًا ومكتفيا ورمزيا من السلوك الإنساني المنظم الذي يؤدي بعض الوظائف الأساسية في داخل البنية الاجتماعية. وهذا يعني بدقة أن المدرسة، كما تبدو لعالم الاجتماع، تتكون من الأفعال الاجتماعية التي يقوم بها الفاعلون ومن المعايير والقيم المنظمة للتفاعلات التربوية التي تؤدي إلى إعادة إنتاج الحياة الاجتماعية ثقافيا وتربويا.

كما نجد أن مفهوم المدرسة، ينطلق من تحديد مختلف الفاعلين كالتلاميذ المتواجدين في الصفوف والإدارة والمناهج والمعلمين، الذين ينتجون منظومة الأفعال تعبر عن الخطاب التربوي للمدرسة ككل. وهذه الأفعال والفعاليات حسب عبد الله الرشدان ترسم في مخطط معقد للنشاطات الإنسانية التي تتم على العموم في إطار التفاعل الاجتماعي¹⁵.

وعليه فالمدرسة من زاوية معينة يمكن أن نجدها تعبر عن مؤسسة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية تعمل على ضمان التعليم وتكوين الأفراد في مختلف مجالات الشخصية، داخل إطار منظم وفق مبادئ الضبط الاجتماعي بتظافر وتعاون جهود الفاعلين بها، ولذلك يمكن أن تكون دعامة أساسية في إنتاج موجّهات الفعل الاجتماعي للأفراد.

3 - مفهوم الفاعلون:

الفعل التربوي : المواقف التي ينتجها الفاعلون في البيئة التربوية ويلاحظها الغير.
الفاعلون: هم الذين يملئون السلطة والقرار في صياغة الخطاب التربوي فعلا أو قولاً.
المدير: عن طريقه يطبق القانون وتنتشر المراسيم واللوائح داخل المؤسسة التربوية
المعلم: هو الذي يجسد الخطاب التربوي بوسائل بيداغوجية داخل القسم ويقود العملية التعليمية والتعلمية.

الإداري: وهو الناظر والمستشار التربوي والمساعدين التربويين الذين يساعدون المدير والمعلم ميدانيا على فرض النظام داخل المؤسسة التربوية.

خامسا: أسباب الأزمة الراهنة: إن أبرز العوامل التي أثرت على الخطاب والعمل التربوي نذكر منها:

- غياب المحبة والمشاعر المتبادلة بين الفاعلين والمتلقين للخطاب التربوي
- عدم وضوح الواجبات والحقوق بين الفاعلين والمتلقين للخطاب التربوي مما يؤدي الى عدم تطبيق النصوص القانونية بشكل عقلاني.
- عدم إعطاء القيمة الاجتماعية للفاعلين لاسيما المعلم وهذا ما يؤثر سلبا على تقدير الذات.

- ضبابية الرؤى والغايات في الخطاب التربوي وهذا نظرا لغياب المشروع المجتمعي الواضح، في كثير من القضايا مثل: ماهي البرامج التعليمية المناسبة والمسايمة لتطور المجتمع؟ مانوع التنمية المطلوبة؟ ما هي طبيعتها وحدودها أهي نخبوية أم سياسية؟
سادسا: أبعاد الأزمة الراهنة: إن أزمة الخطاب التربوي هي أزمة اجتماعية وهناك عدة آليات ساعدت على تكوينها نذكر من بينها:

- المعرفة التربوية والخطاب التربوي:

إن النظرة الفاحصة للفعل التربوي تكشف الأهمية المحورية للكتاب التربوي كمقرر ولعمليات التلخيص والتلقين، وتحويل المعرفة إلى معلومة تلقن وتخزن، عبر الخطابات الصفية المستهلكة وغير الفاعلة والتي تكرست بموجهات الفعل الاجتماعي والثقافي السائدة، تستند إلى المطلق والجاهز ولا تؤمن بالحوار والبحث والسعي وراء المعرفة.

-المعلم والخطاب التربوي: إن الغاية من الصورة التي يتم تكريسها للمعلم في الذهن العام وما فيها من عدم التقدير الاجتماعي لمكانته ولرسالته العلمية والتربوية، وهى صورة تؤثر سلباً على وعى المعلم وهذا ما يجعله في صراع مع ذاته وعدم اعتراف الآخر به نظرا لما يعانيه من إهمال من قبل الخطاب السائد والمسيطر.

وفي ظل ضبابية فهم الخطاب التربوي، وتدنى إمكانيات المدرسة، وفي ظل غياب العوامل المادية والمعنوية لتفعيل دور المعلم والحفاظ على رسالته، يصبح المعلم كأنه سبب الأزمة الراهنة وجوهرها في نظر (الآخرين) العامة مع أنه أحد مظاهرها وتجلياتها

-المدير والخطاب التربوي : بصفته الرمز الأول في المدرسة فإنه المسؤول التنفيذي لسياسة النظام التعليمي والتربوي حيث يرمى ويسهر على تطبيقها قدر فهمه لها ولذلك فهو يشارك فريقيه في اتخاذ القرار في المدرسة، ويخضع لتعليمات محددة، ويقوم من قبل جهات متنوعة دون إعطائه أهمية في الاختيارات التربوية ولا هامش الحرية المسموح له وهذا ما يؤثر على شخصيته وثقته بنفسه.

- التلميذ والخطاب التربوي: إن الإصلاحات التي طرأت على الفعل التربوي تؤسس للتعليم عن طريق المقاربة بالكفاءات ورغم اهتمام الخطاب التربوي باعتماد هذه الطريقة لاكتساب المعارف

وتخصيص الندوات والتكوينات المتتالية من أجل ذلك، إلا أن الطريقة التقليدية التي تعتمد على النقل والتلقين تبقى الوسيلة المتبعة في أغلب الأحيان، وهذا ما جعل التلميذ ينعزل عن الخطاب التربوي، ومنعه أن يكون محوراً للعملية التعليمية، وبالتالي منع تحقيق التعليم كحوار وكممارسة بحثية.

سابعاً: اقتراحات حلول الأزمة الراهنة:

من أبرز مؤشرات عمق أزمة الخطاب التربوي أنها أزمة بنيوية تمتد جذورها في كل البنيات التربوية، وأنماط القول والخطاب التي تحكمها وتسيرها والأطر السوسيوثقافية المحددة لها. والسؤال الذي يطرح نفسه: هل الأزمة الراهنة هي مجرد خلل وظيفي طارئ يمكن تجاوزه وإصلاحه، أم أنها صراع ناتج عن مجموعة من العوائق والعراقيل والمشكلات البنيوية التي تأصلت في بنية النظام التربوي نفسه مما يتطلب إجراء تغييرات عميقة وبنيوية لأنها أزمة شمولية متعددة العوامل؟؟

يرى الكثيرون إن الإصلاح التربوي الفعال القادر على تجاوز ما يسمى أزمة التعليم وهو ذلك الإصلاح الراديكالي الذي يقوم على تضافر كل الجهود الوطنية في استغلال كل المصادر التربوية المتاحة في المجتمع وكل الأنماط والوسائل التعليمية الممكن استغلالها استغلالاً فعالاً لتحقيق التنمية الشاملة، والإصلاح التربوي بهذا المعنى هو بالأحرى مسألة واعي اجتماعي تقوم به النخبة المثقفة في إطار حركة تغيير شامل.

ومن هذا المنطلق فإننا نحتاج إلى تطوير و إصلاح حقيقي، قائم على إعادة بناء النظام التعليمي والتربوي على أسس حضارية إنسانية جديدة تتجاوب مع تطلعات المجتمع وطموحاته في عالم لا يعرف غير التقدم والتطور والحدثة.

إننا في عالم ينفجر بالتطورات في عالم الميديا والجينات وعالم المعرفة والرقمنة و في مختلف الميادين مما يتطلب منا اليوم أكثر من أي وقت مضى التفتح في مجال التربية والمعرفة دون المساس في ثوابتنا، بالاعتماد على إبيستمولوجية تحطم كل عوامل الجمود والانغلاق والصراعات الضيقة من أجل بناء مجتمع حضاري متقدم ينطلق على مسارات تربوية بعيدة المدى نحترم من

خلالها ذواتنا كما نحترم ذوات الآخرين، نسعى إلى معرفة واجباتنا قبل حقوقنا ونحترم تطبيق القانون ونقدر ونقيم فيها الآخرون كما نريدهم أن يقدرونا وقيمونا.

خاتمة

يوضح الجدول التالي الإجابة عن التساؤل الرئيس: هل ينتج الفاعلون بالمدرسة الجزائرية خطابا تربويا يعزز دائرة الاعتراف وتقدير الذات؟ لوحظ في السنوات الأخيرة تدني في المردود التربوي لدى التلاميذ لا سيما مع تقاوم ظاهرة العنف، المخدرات في المؤسسات التربوية وضعف التحصيل والتأخر الدراسي والتسرب المدرسي، هذه الظواهر التي تشكل إحدى إفرازات الواقع الإجتماعي الهش، والتي تتزايد يوما بعد يوم، حيث أصبحت السمة السائدة على العلاقات الاجتماعية بين تلاميذ المدارس الابتدائية والمتوسطة وحتى الثانوية، إلى درجة باتت فيها العملية التعليمية والخطاب التربوي موضع تساؤل بين الفاعلين داخل وخارج المدرسة سواء تعلق الأمر بدور المدير أو الأستاذ أو مستشار التربية من جهة أو الأسرة ومجالات التنشئة الاجتماعية أو المجتمع ككل من جهة أخرى.

لذلك حاولت هذه الدراسة أن تقف عند بعض المؤشرات مع ترتيبها حسب أولويتها في الظهور عند ملاحظات الواقع والحياة اليومية، كما هي موجودة في هذا الجدول:

الرقم	القيمة	ضعيف	متوسط	حسن
01	القيمة الاجتماعية	X		
02	المحبة والمشاعر			X
03	التوزيع العادل للواجبات والحقوق			X
04	القانون واحترام الآخرين		X	
05	تقدير الذات	X		

فمن خلال ملاحظات الجدول أعلاه للواقع المعيش يمكن أن نقيس بعض المؤشرات السائدة بين الفاعلين في المدرسة الجزائرية، فنلاحظ أن هنا تراجع في نسبة القيمة الاجتماعية للفاعلين على مختلف مناصبهم ومراكزهم الوظيفية ولعل هذا يرتبط ارتباطا وثيقا بمسألة تقدير الذات، رغم أن هناك توزيع عادل نسبيا في الواجبات والحقوق وهناك مشاعر متبادلة بين الفاعلين والمجتمع لأنهم يحملون العادات والتقاليد نفسها الموجودة في هذا المجتمع، ولذلك يبقى القانون واحترام الآخرين يحتل مرتبة متوسطة لأنه أداة جذب وأخذ بين الفاعلين والمجتمع حسب المواقف المنتجة بينهم، كما انه يتحكم فيه عامل الزمان والمكان والعلاقة الاجتماعية في حد ذاتها أيضا لا يزال الفاعلون تحت مستوى المتوسط يبحثون عن تقدير الذات والاعتراف بهم اجتماعيا، وأسبابه ترجع إلى عدم الاكتفاء بتحقيق المطالب المادية وتحسين الوضع الاجتماعي لهم أكثر من المطالب الأخرى المتعلقة بالعلم أو الثقافة أو الدين.

نستنتج من خلال ما سبق، أن المدرسة من المنظور السوسولوجي تقوم بإنتاج فعل التنشئة الاجتماعية وهو الأسلوب التربوي المستعمل من طرف الفاعلين داخل المدرسة، ولذلك يمكن القول أن الفعل التربوي من المفترض أن يعمل على تطبيع التلميذ و قبولته للوصول إلى المثالية باحترام شخصيته والاعتراف به كتلميذ (التعليم وفق سلم متدرج) لأنه في النهاية هو فعل اجتماعي بامتياز؛ يعمل على إحداث تغييرات بنوية على المجتمع وتحريره من سيطرة الأعراف البالية والخرافات والأساطير.

وهذا ما يسمح للمدرسة أن تلعب دورها في إخراج الأفراد من المجتمع التقليدي إلى المتقدم وبناء مجتمع جديد بواسطة التعليم باعتباره وسيلة أساسية وعامل أساسي للتأطير والهيمنة على المجتمع

نفسه فيما هو اقتصادي وسياسي و ثقافي تربوي وذلك، يتحقق الاعتراف بها في مرتبة الريادة للمجتمع.

وليس مجال خصبا لتجارة المعرفة و مجالا يحث على اقتناء الكتب الكثيرة بالزامية (بمقابل أو دون مقابل - تدعيم الفئات الفقيرة والمعوزة) رغم عدم جدوى أغلبيتها حتى أصبحنا نجد تلاميذ يحملون (المعرفة) على ظهورهم بدلا من حملها في عقولهم وأصبح أغلب التلاميذ يعيشون في قلق شديد بين صوت المدير، ومستشار التربية، والأستاذ وصوت الأجراس وما أن تنتهي حصص الدراسة إلا ونجد التلاميذ يثرون على بعضهم البعض وعلى ممتلكات المدرسة.

ويبقى السؤال مفتوح للبحث إلى أين يتجه التلميذ ما دامه لا يفهم ولا يستوعب الخطاب

التربوي للفاعلين داخل المدرسة؟؟ ...

في الأخير ومن اجل الاستزادة يمكن أن نستأنس بحقار هام جدا عن فكرة الاعتراف نقلا عن موقع الكتروني بقلم نورالدين علوش (2019)، حوار مع الفيلسوف الألماني أكسيل هونيث: الصراع مع القيم العالمية مغامرة ناقصة¹⁵

ألكسندر لافاستين : هل ممكن أن نتحدث لنا عن مفهوم الصراع من أجل الاعتراف؟

أكسيل هونيث: من أجل إدراك المفهوم الجديد، لابد من الانطلاق من النموذج البراغماتي المهيمن في العلوم الإنسانية. فهذا النموذج ينطلق من فكرة مفادها أن المجتمع عبارة عن مجموعة من الأفراد الذين يتحركون بدافع مصالحهم الخاصة، ومن أجل إثبات ذواتهم. للوهلة الأولى من غير الممكن أن نعلل الصراعات التي تنشأ من الرغبات غير المشبعة. بالاعتماد على هيغل الشاب، ولكن أيضا على مكتسبات علم النفس الاجتماعي (من جورج ميد إلى دونالد وينيكوت) اقترح إدراك الصراعات الاجتماعية بمنظور الصراع من أجل الاعتراف؛ فهذا يقتضي بأن تحقيق الذات مرتبط أشد الارتباط بالاعتراف المتبادل. لهذا أميز بين ثلاثة مستويات لهذا الاعتراف، متناسبة مع ثلاثة نماذج من تحقيق الذات:

1 - **المستوى الأول**، هو الحب الذي يجمع فردا ما بمجموعة ما. فقط هذه القوة العاطفية التي

تربطه بمجموعته هي التي تحقق له الثقة في نفسه وبدونها لن يتمكن من المشاركة في الحياة العامة.

2 - **المستوى الثاني**، هو قانوني - سياسي: باعتبار الفرد هو فرد عالمي له حقوق وواجبات،

ويجب أن نفهم أفعاله على أنها تعبير عن استقلاليتها. من هنا فالارتباط ضروري بين الاعتراف القانوني والاحترام للذات. لكن هذا ليس كل شيء. من أجل إقامة علاقة دائمة مع أنفسهم، فالناس

عليهم التمتع باحترام اجتماعي يسمح لهم بالتعاطي الإيجابي مع قدراتهم ومواهبهم أو مع بعض القيم المستلهمة من هوياتهم الثقافية.

3- المستوى الثالث، التقدير الاجتماعي الذي هو مرتبط بتقدير الذات، أو مانسميه بالإحساس بالقيمة.

وإذا ما انتهك أحد المستويات، فإن الذات ستعتبر هذا الانتهاك مسا خطير بكامل الذات، سواء السياسية أو الاجتماعية أو الأخلاقية. لكن هناك الكثير من الأسئلة المعلقة من قبيل ما هو الشكل الذي ستخذه ثقافتنا السياسية والأخلاقية في هذا العصر لمحاربة الإقصاء والانغلاق؟ ومن أجل إعطاء فرصة للمقصيين والمحترمين؟

الهوامش:

- ¹⁵ سارة دبوسي (2018)، عن الصراع من أجل الاعتراف لأكسيل هونيث. تونس، نقلا عن الموقع، <https://couua.com/2018/12/01>
- ¹⁵ مبارك بدري، (2010) المدرسة بين النظرة السوسولوجية و الواقع. الحوار المتمدن-العدد: 3051 - 2 / 7 / 2010 - 18:49 <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=221167&r=0>
- 15 - عبد الله الرشدان، (1984). علم الاجتماع التربوي، دار عمان، الأردن، ص 657.
- 15 - بوستنيك مارسيل، (1986). العلاقات التربوية، ترجمة محمد بشير النحاس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ص 96.
- 15 - علي أسعد وطفة وعلي جاسم الشهاب، (2004). علم الاجتماع المدرسي، المؤسسة والنشر، لبنان، ص 22.
- ¹⁵ مراد زعيمي، 2006، مؤسسات التنشئة الاجتماعية. دط، منشورات جامعة باجي مختار، الجزائر، ص 179.
- 15 - علي أسعد وطفة وعلي جاسم الشهاب، (2004). علم اجتماع المدرسي، مرجع سابق، ص 15.
- ¹⁵ بقلم نورالدين علوش، (2019)، حوار مع الفيلسوف الألماني أكسيل هونيث: الصراع مع القيم العالمية مغامرة ناقصة . مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 26 أكتوبر 2019 نقلا عن الموقع <https://www.mominoun.com/articles/1541>